المجمع التريدنتيني: الجلسة 13، 11 تشرين الأول 1551: مرسوم في سرّ الإفخارستيّا (1635 – 1661)

تمهيد

1635- المجمع التريدنتيني المسكونيّ العامّ المقدّس... انعقد، لا أنّه سيق وسيس بغير الرّوح القدس، وهدفه أن يعرض التعليم الحقيقيّ والقويم عن الإيمان والأسرار، ويقدّم علاجاً لجميع الهرطقات، ولسائر الأضرار الشديدة والخطيرة التي تبلبل اليوم كنيسة الله، وتقسّمها إلى فرقٍ مختلفة ومتعدّدة. إلاّ أنّه عني منذ بدئه عنايةً خاصة، باقتلاع زؤان الأضاليل والهرطقات المقيتة من جذوره، ذاك الذي زرعه العدوّ في أيامنا هذه [رَ متى 13 : 15] في عقيدة الإيمان، في طقس وعبادة الإفخارستيّا المُقدّسة، التي جعلها الربّ في كنيسته رمز الاتحاد والمحبّة اللذين أراد بهما أن يكون جميع المسيحيّين متّحدين ومرتبطين بعضهم ببعض. ولهذا فهذا المجمع المقدّس نفسه، وهو ينقل التعليم السليم، والأصيل، في شأن سرّ الإفخارستيّا الجليل والإلهي هذا، الذي حفظته دائماً وتحفظه إلى منتهى العالم، الكنيسة الكاثوليكيّة التي علّمها يسوع المسيح ربّنا نفسه والرسل، والتي يوحي إليها الروح القدس، يوماً فيوماً، بالحقيقة كلّها [ر يو 11 : 26].

يحظر على جميع المسيحيّين التجرّؤ على اعتقاد وتعليم أو نشر، في شأن الافخارستيّا المقدّسة، غير ما هو مفسَّر ومحدَّد في هذا القرار.

الفصل الأوّل: الحضور الحقيقي لسيّدنا يسوع المسيح في سرّ الإفخارستيا الأقدس

1636- يُعلّم المجمع المقدّس ويعلن أولاً، في وضوحٍ وفي غير مداورة، أنَّ في سرّ الإفخارستيّا المقدّسة، بعد تقديس الخبز والخمر، سيّدنا يسوع المسيح، الإله الحقّ

والإنسان الحقّ، حاضراً حضوراً حقيقيّاً وجوهريّاً [القانون 1] تحت شكليّ هاتين الحقيقتين الحسّيتين. وليس هناك مخالفة بين كون مخلّصنا نفسه جالساً أبداً في السماوات إلى يمين الآب، بوجودٍ يفوق الطبيعة، وكونه حاضراً حضوراً سرّيّاً وجوهريّاً في أماكن متعدّدة، بوجودٍ نكاد لا نستطيع التعبير عنه بألفاظ، ونستطيع مع ذاك معرفة أنّه ممكنٌ عند الله، ونؤمن بذلك إيماناً مستمرّاً [رَ متى 19 : 26، لو 18 : 27] بقدرتنا العقليّة ينيرها الإيمان.

1637- هكذا أعلن جميع قُدامانا الذين كانوا في كنيسة المسيح الحقيقيّة، وعالجوا هذا السرّ المقدّس، أعلنوا بكلّ وضوح أنَّ فادينا وضع هذا السرّ العجيب في عشائه الأخير، فبعدما بارك الخبز والخمر، أكّد، بألفاظ واضحة ودقيقة، أنّه يعطيهم جسده عينه ودمه عينه. هذه الأقوال التي ذكرها الإنجيليون القدّيسون [رَ متى 26 : 26 – 29؛ مر 14 : 22 – 25؛ لو 22 : 19 – 20] وكرّرها بعد ذلك القدّيس بولس [رَ 1 كو 11 : 24 – 25] هي بمعناها الذّاتي الحقيقيّ الواضح، بحسب ما فهمها الآباء. وإنه لمعثرة قبيحة جداً أن يُرى أن بعض الأشخاص المشاكسين والفاسدين يرجعونها إلى معنى مجازيّ وخيالي فارغٍ من المضمون، وينكرون حقيقة جسد المسيح ودمه، مخالفين الشعور العام في الكنيسة التي هي "عمود الحقّ وقاعدته" [1 تيم 3 : 15]، والتي تمقت من ثمَّ هذه الاختلافات الشّيطانيّة التي يختلقها أناسٌ كافرون، وهي التي تعرف أن تقدّر أبداً بروح الحمد والشكر نعمة المسيح الجليلة هذه.

الفصل الثاني: سبب وضع هذا السرّ الأقدس

1638- عندما أزف الزَمان ليترك المُخلّص هذا العالم ويمضي إلى الآب، وضع هذا السرَ الذي أفاض فيه نوعاً ما غنى محبّته الإلهية للبشر، "جاعلاً لمعجزاته ذكراً" [مز 110 : 4]، وأعطانا في تناول هذا السرّ أن نحتفل بذكراه [ر لو 22 :

19؛ 1 كو 11 : 24]، وإن نخبر بموته إلى أن يأتي [1 كو 11 : 26] ليدين العالم.
لقد أراد هذا السرّ غذاءً روحياً للنفوس [رَ متى 26:26] يغذّي ويقوّي الذين يحيون بحياته [القانون 5] هو الذي قال: "من يأكلّني يحيا هو أيضاً بي" [يو 6 : 57]، وبلسماً يحرّرنا من زلاّتنا اليومية، ويجنّبنا الخطايا المميتة.

وإلى ذلك أراد أن يكون عربون مجدنا الآتي وسعادتنا الأبديّة، وفي الوقت نفسه رمزاً لهذا الجسد الوحيد الذي هو رأسه [رَ 1 كو 11 : 3؛ أف 5 : 23]، والذي أراد أن نكون، نحن أعضاءه، مرتبطين به بأوثق ربط الإيمان، والرجاء، والمحبّة، بحيث نكون جميعاً على وحدة الكلمة، ولا يكون في ما بيننا انقسام [رَ 1 كو 1 : 10].

الفصل الثالث: امتياز الإفخارستيا بالنسبة إلى سائر الأسرار

1639- الإفخارستيا المُقدّسة تشترك مع سائر الأسرار في كونها "رمز حقيقة مقدّسة، وصورةً منظورةً لنعمةٍ غير منظورة". ولكن الذي نجده فيها مميّزاً وخاصّاً هو أنّها، بخلاف سائر الأسرار التي تملك طاقة التقديس عندما يلجأ إليها أحد، تحوي فيها صانع التقديس نفسه قبل أن يتناولها أحد [القانون 4].

1640- إنّ الرُسل لم يكونوا بعد قد تقبّلوا الإفخارستيّا من يد الربّ [رَ متى 26 : 36؛ مر 14 : 22] عندما أعلن أنّ ما يقدّمه هو في الحقيقة جسده، وهذا ما اعتقدته أبداً كنيسة الله، أي أنّه، حالاً بعد التقديس، يوجد جسد ربّنا الحقيقيّ، ودمه الحقيقيّ تحت شكليّ الخبز والخمر، مع نفسه وألوهته. فإذا كان الجسد موجوداً تحت شكل الخبز، والدم تحت شكل الخمر بقوّة الكلمات، فالجسد نفسه موجود أيضاً تحت شكل الخمر، والدم تحت شكل الخبز، والنَّفس تحت الشكلين، بسبب هذا الارتباط الطبيعي وهذا التلازم اللذين يجمعان أقسام المسيح الربّ في ما بينها، هو الذي قام من بين

الأموات ولا يموت أيضاً [رَ رو 6 : 9]. فالألوهة متّحدة بنفسه وجسده بسبب هذا الاتّحاد العجيب والجوهريّ بينهما [القانونان 1 و 3].

1641- ولهذا فممّا لا شكّ فيه أنّ المسيح موجودٌ تحت هذا الشكل أو ذاك، وتحت الشكلين معاً. وهكذا فالمسيح موجودٌ كلّيّاً وكاملاً تحت شكل الخبز، وتحت كلّ جزءٍ من أجزاء هذا الشكل؛ وهو موجودٌ كلّيّاً تحت شكل الخمر وتحت كلّ جزءٍ من أجزاء هذا الشكل [القانون 3].

الفصل الرابع: التحوَّل الجوهريّ

1642- بما أنّ المسيح الفادي قال إنّ ما يقدّمه تحت شكل الخبز هو في الحقيقة جسده [رَ متى 26 : 26 – 29؛ مر 14 : 22 – 25؛ لو 22 : 19...؛ 1 كو 11 : 24 – 26]، كان من المُعتقَد دائماً في كنيسة الله – وهذا ما يجدّد إعلانه اليوم هذا المجمع المُقدّس – أنّه بتقديس الخبز والخمر يتحوّل جوهر الخبز كلّه إلى جوهر جسد المسيح ربنا، وجوهر الخمر كلّه إلى جوهر دمه. هذا التحوّل سميّ بحقّ في الكنيسة الكاثوليكيّة المقدّسة التحوّل الجوهريّ (Transsubstantiatio) [القانون 2].

الفصل الخامس: العبادة الواجبة لهذا السرّ المقدّس

1643- ولهذا لم يبقَ أيّ سبيلٍ إلى الشكّ في أنّ جميع المسيحيين، بحسب العادة المتَّبعة دائماً في الكنيسة الكاثوليكيّة، يؤدّون لهذا السرّ المقدّس العبادة التي تؤدّى لله الحقيقي [القانون 6]. وهكذا فيجب أن لا تقلّ عبادة هذا السرّ عن تلك لأنّ المسيح ربّنا وضعه لتغذيتنا [متى 26 : 26 – 29] إذ إنّنا نؤمن أنّ فيه هذا الإله نفسه الذي أدخله الآب الأزلي إلى العالم قائلاً: "لتسجد له جميع ملائكة الله" [عب 1 : 6؛ رَمز 96 : 7]، هو الذي عبده المجوس ساجدين [رَ متى 2 : 11]، وهو أخيراً الذي

يشهد الكتاب المقدّس أنّ الرُسل سجدوا له في الجليل [رَ متى 28 : 17؛ لوقا 24 : 52].

1644- وإلى ذلك فالمجمع المقدّس يُعلن أنّه قد أدخلت العادة بتقوى ووقارٍ في كنيسة الله، بأن يُحتفل كلَّ سنةٍ، في يوم عيدٍ خاصّ، بهذا السرّ السنيّ والجليل، احتفال عبادةٍ خاصة وتكريم مميَّز، وبأن يحمل باحترامٍ وتعظيم في زيّاحاتٍ تطوف في الشوارع والسّاحات العامة.

وإنه لمن المستحسن جداً أن يكون هنالك أيّام مقدّسة معيّنة يتداعى فيها جميع المسيحيين، بتظاهراتٍ فريدة وخارقة، ليُعربوا عن شكرهم لسيّدهم وفاديهم لهذه النعمة الساميّة والإلهيّة، التي يتمثّل فيها ظفره وانتصاره على الموت. وهكذا كان لا بدَّ للحقيقة المتغلّبة على الكذب والهرطقة من الانتصار، حتى إذا وقف أعداؤها أمام هذه العظمة الفريدة، وأمام فرحة الكنيسة الجامعة، أو إذا انهاروا في ضعفهم ذاهلين، أو إذا استولى عليهم الخزي والحياء عادوا يوماً نادمين ومكفرّين.

الفصل السادس: سرّ الإفخارستيا الذي يُحفظ والذي يُحمل إلى المرضى

1645- عادةُ حفظ الإفخارستيّا المقدّسة في مكانٍ مقدّس قديمةٌ جداً إلى حدّ أن عصر مجمع نيقية كان على علم بها. وإلى ذلك فإنّ حمل هذه الإفخارستيّا المقدّسة إلى المرضى، وحفظها، من أجل ذلك، في الكنائس بعنايةٍ واحترام، هما ليسا فقط أمراً عادلاً وموافقاً للعقل، بل إنهما أمرٌ أقرّته مجامع كثيرة، وجرت عليه في الكنيسة الكاثوليكيّة عادةٌ قديمةٌ جداً. ولهذا رسم هذا المجمع المقدّس أن يُحافظ على هذه العادة الخلاصيّة والضروريّة [القانون 7].

الفصل السابع: التهيّؤ لقبول سرّ الإفخارستيا كما يليق

1646- إذا كان من غير اللائق أن يقترب أحدٌ من وظيفة مقدّسة إلاّ بطريقةٍ مقدّسة، فلا شكّ أنّه بقدر ما يكتشف المسيحي قداسة هذا السرّ السماويّ وميزته، يجب عليه أن يحرص كلَّ الحرص على أن لا يقترب ليتقبَّله إلاّ باحترام شديد وقداسةٍ [القانون 11]، ولا سيّما إننا نقرأ للرسول هذه الكلمات المليئة بالرَّهبة: "من يأكل ويشرب بلا استحقاق إنّما يأكل ويشرب دينونةً لنفسه، إذ لم يميّز جسد المسيح" [1 كو 11 : 29]. لهذا يجب تذكير من يريد التناول بالوصيّة "فليختبر الإنسان نفسه" [1 كو 11 : 28].

1647- عادة الكنيسة تُظهر بوضوحٍ أنَّ هذا الاختبار ضروري لكي لا يقترب أحدٌ من الإفخارستيّا وعلى ضميره خطيئة مميتة، وإن عدّ نفسه تائباً، إلا بعد اعترافٍ سرّيّ سابق.

فهذا المجمع المقدّس رسم أنّه يجب على جميع المسيحيين أن يمارسوا ذلك دائماً، كما يجب على الكهنة أنفسهم الذين يقضي عليهم الواجب بأن يقيموا القُدّاس، عندما يتسنّى لهم اللجوء إلى مُعرّف. وإذا اضطرَّ كاهن أن يقيم القدّاس، بدون اعتراف سابق، بسبب ضرورة ملحّة، وجب عليه أن يعترف في أقرب وقتٍ ممكن [رَ 2058].

الفصل الثامن: استعمال هذا السرّ العجيب

1648- في ما يتعلّق بالاستعمال ميّز آباؤنا بحكمةٍ وفطنةٍ ثلاث طرائق لتقبّل هذا السرّ المقدّس. لقد علّموا أنّ البعض لا يتقبّلونه إلاّ سرّياً لكونهم خطأةً؛ وأن آخرين لا يتقبّلونه إلاّ روحيّاً: هؤلاء هم الذين يأكلون بالرغبة الخبز السماويّ الذي يقدَّم لهم مع هذا "الإيمان" الحيّ "العامل بالمحبّة" [غلا 5 : 6]، ويلمسون ثمرته وفائدته؛ وأنّ آخرين أخيراً يتقبّلونه سرّيّاً وروحيّاً [القانون 8]: هؤلاء هم الذين يختبرون أنفسهم

ويتهيّأون بحيث أنّهم يقتربون من هذه المائدة الإلهيّة وعليهم حُلّة العرس [رَ متى 22 : 11 – 14].

في التناول السريّ جرت العادة دائماً في الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ العلمانيين يتقبّلون المناولة من الكهنة، وإن الكنهة المحتفلين يتناولون بأنفسهم [القانون 10]، وبما أنّ هذه العادة تقليدٌ رسولي وجب التقيد بها بحقّ.

1649- أخيراً يُحرّض المجمع المقدّس، بعاطفةٍ أبوية، جميع الذين يحملون الاسم "مسيحيين"، ويحضّهم جملةً وأفراداً، ويحثّهم "بأحشاء رحمة الله" [لو 1 : 78] على أن يتلاقوا على قلبٍ واحد، في هذه "العلامة"، في "رابط المحبّة"، هذا، في رمز توافق القلوب هذا، ذاكرين معجزة عظمة ومحبة سيّدنا يسوع المسيح الذي قدّم حياته الغالية فديةً لخلاصنا، وجسده غذاءً لنأكله [رَ يو 6 : 48 – 58]؛ وليؤمنوا ويجلّوا جسده ودمه بإيمانٍ مستمرّ وثابت، وبقلبٍ متعبّد، وتقوى واحترام، بحيث يتمكّنون من أن يتقبّلوا غالباً هذا الخبز الفائق الجوهر [ر متى 6 : 11]. فليكن أبداً حياة نفسهم، وعافيةً مستمرّةً لروحهم، حتى إذا تقوّوا بقوّته [رَ 1 مل 19 : 8] يصبحون قادرين على بلوغ نهاية الطريق ليدخلوا إلى الوطن السماوي، حيث يغتذون بخبز الملائكة هذا بدون حجاب [رَ مز 77 : 25]، هذا الخبز الذي يأكلونه تحت الحجب السرّيّة المقدّسة.

1650- بما أنّه لا يكفي قول الحقيقة إذا لم تبيَّن الأضاليل وتفنّد، قرّر المجمع المقدّس أن يضيف القوانين التالية، لكي يعرف الجميع وقد اتضح التعليم الكاثوليكيّ اتّضاحاً جيداً، أيّ الهرطقات يجب نبذها وتجنّبها.

قوانين في شأن سرّ الإفخارستيا المقدّس

1651- ق1. إذا قال أحدٌ أنه في سرّ الإفخارستيّا المقدّس لا يوجد في الحقيقة والواقع جوهريّاً جسد سيّدنا يسوع المسيح ودمه، وفي الوقت نفسه ولاهوته، أي المسيح كلّه، بل قال أنها لا توجد إلاّ رمزيّاً وصوريّاً أو بالقوّة: فليكن محروماً [رَ 1636؛ 1640].

1652- ق2. إذا قال أحدٌ أن جوهر الخبز والخمر، في سرّ الإفخارستيّا المقدّس، يبقيان مع جسد سيّدنا يسوع المسيح ودمه، وأنكر هذا التحوّل العجيب والفريد لكلّ جوهر الخبز إلى جسده، ولكل جوهر الخمر إلى دمه، فيما يلبث شكلا الخبز والخمر، هذا التحوّل الذي تدعوه الكنيسة على وجهٍ موافقٍ جداً، تحوّلاً جوهريّاً: فليكن محروماً [رَ 1642].

1653- ق3. إذا أنكر أحدٌ أن المسيح، في سرّ الإفخارستيّا الموقّر، يوجد بكامله تحت كلّ شكل، وفي كلّ جزء من أجزاء الشّكلين بعد فصلهما: فليكن محروماً [رَ 1641].

1654- ق4. إذا قال أحدٌ إن جسد سيّدنا يسوع المسيح ودمه، بعد انتهاء التقديس، ليسا في سرّ الإفخارستيّا العجيب، ولكن عند تناولهما فقط، لا قبل ولا بعد، وإن جسد الربّ الحقيقيّ لا يبقى في القربان أو الأجزاء المقدّسة الباقية بعد التناول أو المحفوظة: فليكن محروماً [رَ 1639...].

1655- ق5. إذا قال أحدٌ أن ثمرة الإفخارستيّا المقدّسة الرئيسيّة هي مغفرة الخطايا، أوانها لا تأتي بأي فائدة أخرى: فليكن محروماً [رَ 1638].

1656- ق6. إذا قال أحدٌ أن المسيح ابن الله الوحيد، في سرّ الإفخارستيّا المقدّس، يجب أن لا يُعبد، حتى خارجيّاً، ويجب من ثم أن لا يُحتفل به في عيدٍ خاص، ولا يُحمل باحتفال في زياحاتٍ بحسب طقس الكنيسة الجامعة المقدّسة أو تقليدها، ولا

يُعرض علانية لعبادة الشعب، إذ أنّ الذين يعبدونه هم عُبّاد أوثانٍ: فليكن محروماً [رَ 143...].

1657- ق7. إذا قال أحدٌ أنّه مِن غير المسموح به أن تُحفظ الإفخارستيّا المقدّسة في بيت القربان، بل من الواجب توزيعها حالاً على الحاضرين بعد التقديس، أو أنّه من غير الجائز أن تحمل بكرامةٍ إلى المرضى: فليكن محروماً [رَ 164].

1658- ق8. إذا قال أحدٌ أن المسيح المُقدّم في الإفخارستيّا يُؤكل روحيّاً فقط لا سرّيّاً ولا حقيقيّاً أيضاً: فليكن محروماً [رَ 1648].

1659- ق9. إذا أنكر أحدٌ أنّ جميع المسيحيين من الجنسين، بعد بلوغهم سنَّ الرّشد، يجب عليهم أن يتناولوا كلّ سنة، على الأقل في عيد الفصح، وفق وصيّة أمّنا الكنيسة المقدّسة: فليكن محروماً [رَ 812].

1660- ق10. إذا قال أحدٌ إنه لا يجوز للكاهن المحتفل أن يناول نفسه: فليكن محروماً [رَ 1648].

1661- ق11. إذا قال أحدٌ أن الإيمان وحده تهيّؤ كافٍ لقبول سرّ الإفخارستيّا المقدّس: فليكن محروماً [رَ 1646].

ولكي لا يُقبل هذا السرّ العظيم بغير استحقاق فيكون للموت والدينونة، رسم هذا المجمع المقدّس وأعلن أنّه يجب على من يثقل ضميره خطأ مميت، وإن حكم بأنّه تائب، أن يعترف قبل ذلك اعترافاً سرّيّاً، إذا وجد مُعرِّفاً.
إذا تجرَّأ أحدٌ وقال وعلّم ونشر بعنادٍ خلاف ذلك ودافع عن رأيه في المناقشات العامّة، فليكن محروماً [رَ 1647].